يجدون منهم ما يزيد هذه المشاكل تعقيداً ، وعندئذ ينفرون من المدرسة ومن انظمتها ، ولا يقف الأمر عند هذا الحد بل ربما يتعدى ذلك إلى الشغب والثورة على المدرسة

أنا لا نجد فرقاً كبيراً بين هؤلاء الصبية ، وبين أولئك الذين يجدون المثل العليا فيما أنشأته الاجيال القديمة ، ولذلك تراهم — كهؤلاء الصبية مع فارق بسيط وهو أنهم أشد تمرداً على التقويم — ضحية للهياج العصبي في اكثر الأحيان ، وقد يبلغ المنطق العاطفي بهم حداً يطلبون معه « تزييف » التاريخ ولا يكتفون بذلك فيما يدور بينهم من حوار ومناقشة بل يتعدى ذلك إلى الاعلان والنشر ..! وفي ذلك ما فيه من الجناية لا على التاريخ وحده بل على الاجيال الجديدة التي تبتغي الصعود والتقدم إلى الأمام

ومن هنا يستطيع القارئ ان يقدر الخسارة الكبرى التي لحقت الادب مثلا من وراء خضوع المتنبي للماضي في مطالع قصائده ولا سيما إذا ادرك قيمة العقلية الأدبية التي يتمتع بها هذا الشاعر ومدى اتساعها وعمقها ، ويستطيع ان يقيس على ذلك ما يشاء من فروع المعرفة .. وهكذا يكون اثر هذا التيار — تيار الماضي في الحياة ، وهكذا تكون النتائج .. ؟

بغداد — محمد شرارة

— سنن الطبيعة —

يامن نزحت وفي الفواد مثاله ... ملكا يصوره انا الرسام
زرني فان خفت الانام وكيدهم ... زر في الخيال اذ الانام نيام
ودع الحديث الى العيون فانها ... نعم الحديث اذا يخاف كلام
واحذر بزورتك الكواكب والسما ... من ان يراك فانه نمام
سر في المحاق اذا استطعت فانه ... للسر احفظ اذ يعم ظلام
سنن الطبيعة هكذا احكامها ... الله كم تقسوا بنا الاحكام

عبد الزهراء الصغير

الثورة العراقية الكبرى

مرحلة من مراحل الكفاح القومي العربي

بقلم الاستاذ السيد عبد الرزاق الحسني

رأينا من اللمحة الموجزة في تاريخ ﴿ العراق القديم ﴾ في ﴿ الفصل الاول ﴾ من هذا الكتاب ان العراق كان منذ أقدم العصور موطناً للشعوب والدول التي انبعثت من الجزيرة العربية ، وان العرب قد استقروا في العراق بعد الرسالة ، استقرارهم في سائر أجزاء ﴿ الوطن العربي ﴾ وقامت لهم دول ازدهرت في عهدها الحضارة العربية فشملت هذا الوطن من اقصى شرقيه في العراق الى اقصى غربيه في الاندلس ؛ وبذلك امتازت البلاد الواقعة بين العراق والاندلس بتمكن الروح العربية فيها . وعلى الرغم من المظالم التي أبادت عرب الاندلس وحملتهم على الجلاء منها والانتشار في بلاد المغرب العربية ﴿ مراكش والجزائر وتونس وطرابلس ﴾ وعلى الرغم من ضياع الحكم العربي وانتقاله الى غير العرب ممن قلدوا العرب وتابعوهم في اعتناق الدين الاسلامي ، نقول على الرغم من كل ما تقدم ذكره بقي هذا الوطن عربياً آهلا باكثرية ساحقة من العنصر العربي ، وبقي القرآن الكريم دستور العرب الحي يحفظ لغتهم ويصون عقيدتهم ويحرس حقهم بالاعتزاز بماضيهم والشعور بذاتيتهم وحسبهم فخراً انه نزل بلسان عربي مبين على خاتم الانبياء والمرسلين ، الزعيم العربي الخالد محمد ﴿ ص ﴾

وليس ادل على شعور العرب بذاتيتهم من حرصهم على دفع الأطماع الاستعمارية عن وطنهم ، فلم يستسلم أي بلد عربي للاستعمار الاوربي ؛ ولم يحتمل أي ضيم للأجنبي ، وقد وجد الطامعون في كل بقعة من هذا الوطن مقاومة عنيفة على الرغم من تكامل استعدادهم ونقص استعداد

العرب في آخر عهود تأخرهم . . .

استطاع الطامعون ان يقتطعوا اجزاء هذا ﴿ الوطن العربي ﴾ جزءاً بعد آخر ولأن يقتسموه فيما بينهم ، فكان هذا الوطن ضحية لتنافس الدول الاوربية فيما بينها فهل يستقيم لها ذلك ؟

لما اراد نابليون بونابارت ان يضرب الامبراطورية البريطانية في الشرق وفكر بغزو الهند ، فتح مصر وحاول الاستيلاء على فلسطين لهذا الغرض ، ففتح الأذهان لخطورة هذين البلدين العربيين ، ولما توالت اندحاراته وكثرت خسائره أراد الفرنسيون ان يعوضوا انكبتهم على يده فأثاروا حربا شعواء قاسية منذ سنة ١٨٣٠م لاحتلال الجزائر استمرت زهاء ربع القرن فلما تمكنوا منها أصبحت (الجزائر) مركزاً لامتداد نفوذهم ، وبعد نكبتهم في حرب السبعين في أوربة (حرب سنة ١٨٧٠ م) فرضوا الحماية على (تونس) في ١٢ أيار سنة ١٨٨١ م وعلى « مراكش » في ٣٠ آذار سنة ١٩١٢ م بعد أن قهروا دفاع هذين البلدين ، ولم يكن غريباً ان نرى الانكليز يبسطون نفوذهم على « مصر » في سنة ١٨٨٢ م بزعم المحافظة على طريق الهند ، كما انهم لم يتأخروا عن بسط نفوذهم على الامارات العربية في الخليج العربي لتحقيق هذا الزعم ، وكان طبيعي ان يشجع الفرنسيون الطليان على احتلال طرابلس الغرب في تشرين الاول سنة ١٩١١م رغم المقاومة التي لقوها مدة من الزمن ؛ وممن يفتخر بهذا التشجيع مسيو (كامبو) الوزير العالم الفرنسي المعروف فقد أكد ان فرنسة هي التي حبذت للطليان احتلال طرابلس الغرب لتوجيه انظارهم ومطامعهم الى خارج اوربة .

وقد ساد هذا الجزء من (الوطن العربي) في شمالي افريقية « مراكش والجزائر وتونس وطرابلس » حتى مصر ، شعور الأمل بالخلاص من الحكم الاوربي على يد الدولة العثمانية باعتبارها الدولة المسلمة الوحيدة التي تستطيع أن تخلص العرب المسلمين من النفوذ الاوربي . اما ابناء « الوطن العربي » في الشرق فقد شعر المثقفون منهم

بان سيطرة الامبراطورية العثمانية باساليب حكمها المركزي أمر لايجوز الاستمرار على التسليم به لان نظام الحكم فيها وتعقده وما فرض من تأخر وجهل كل ذلك يحمل في ذاته جرثومة الفناء فضلا عن أن الوعي القومي اخذ يظهر عند المثقفين من العرب ، وفضلا عن انتشار هذا الوعي بعد تغلغل الفكرة العنصرية عند رجال الدولة العثمانية . وكان طبيعياً الا يكتفي العرب في الشرق الادنى بالدعوة الى (اللامركزية) بل لابد من انتهاز فرصة الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ / ١٩١٨) للتخلص من الحكم التركي وتكوين دولة عربية واحدة وهو ما وعد به الانكليز الشريف حسين .

استغل الحلفاء ابناء (الوطن العربي) في شمالي افريقية كما استغلوا موارد بلادهم للظفر بالحرب العالمية المذكورة ، واستغلوا (الثورة العربية) في الشرق الادنى لتيسير القضاء على الامبراطورية العثمانية ، وطبلت دعايتهم وصحفهم لانضمام الشريف حسين الى جانبهم وعملوا على نقض الدعوة الى الجهاد التي اعلنها السلطان العثماني بفضل هذا الانضمام داعين ابناء (الوطن العربي) الذين جندوهم في شمالي افريقية الى التضحية في سبيل نصرة الحلفاء كما انتشرت هذه الدعاية بين مسلمي الهند .

ولما انتهت الحرب المذكورة وقضي على الامبراطورية العثمانية ، انكشفت اغراض الدول الاستعمارية في استعمار (الوطن العربي) كله فاتضح للعرب في مختلف ديارهم ما يراد بهم وبوطنهم فتغلغل الوعي القومي في كافة ابناء الوطن العربي ولم يعد منحصراً في طبقة دون اخرى ، ولاسيما وقد امتد شر تحكم الاجنبي حتى شمل هذا الوطن بأسره وقد زاد في قوة هذا الوعي وسعة انتشاره احداث الحرب العالمية الاولى وما اعقبها من انتشار وسائل المواصلات والمخابرات مما قرب اجزاء المعمورة بعضها من بعض وسهل معرفة ما يجري في كل جزء منها بسرعة وسهولة .

انتهت الحرب العالمية الاولى بخيبة آمال العرب ، خيبة

عامة شمل الشعور بها الوطن العربي من مشرقه الى مغربه .

ضاعت دماء العرب التي سفكت لنصر الحلفاء عبثاً سواء منهم الذين انضموا الى (الثورة العربية) بزعامة الحسين وابنائه ، أو الذين جندهم الحلفاء من سكان شمالي افريقيه وجحد الحلفاء كل الجهود والمنافع الحربية التي أفادوها من (الوطن العربي) في مشرقه ومغربه ، وتبددت كل الاحلام سواء منها ما كان قائماً على انصاف الحلفاء او على تجدة الدولة العثمانية بانهيار هذه الدولة وانكشاف اغراض الدول الاوربية في الاستعمار وحماية مصالحها الامبراطورية على حساب ابناء (الوطن العربي) .

هاهم العرب يفيقون من سبات عميق زاد في امتداد أجله وقوة تأثيره وجود الدولة العثمانية نفسها وجمودها وسوء نظامها وعجزها عن النهوض ومسايرة الأحداث بتكامل الاستعداد والتقدم المستمر ، وقد انقضى أجلها واصبح العرب يجابهون الاحداث بانفسهم ، وعليهم وحدهم واجب التفكير والعمل بالخلاص بانفسهم لا يخدعنهم ولا يغررهم أمل في الاعتماد على غيرهم وانتظار المساعدة منهم .

فوجيء العرب بمجابهة هذا الوضع الجديد الذي اخرجهم من كل عزلة مادية كانت ام معنوية ودفعهم جميعاً في تيار الحياة الحديثة التي تسيطر عليها المدنية الغربية المادية والمطامع الاستعمارية الاوربية فانتفضت اجزاء هذا « الوطن العربي » انتفاضة الحي حين تصيب النار أعز جزء من أعضائه يحس بالالم بكليته ولكنه لا يحسن توجيه الدفاع عن نفسه الا اذا تمرن عقله على معالجة أمور هذا الدفاع .

هذا الوطن العربي من أقصى المغرب الى أقصى المشرق كائن حي واحد ، له ذاتية واحدة تميزه عن اجزاء العالم كله ، وقد اصيب بنكبة الاعتداء عليه فهل يجمع قواه للتخلص مما أصابه ؟ هنا تظهر الحاجة الى الاستعداد الفعلي والى الدفاع المفكر أو الى الفكرة القومية الواحدة التي تنسق الكفاح القومي بين ابناء العرب جميعاً لتخليص وطنهم كله ، وهذا لا يتم الا بممارسة الكفاح وتوحيد الجهود القومية بين ابناء « الوطن العربي كله » ولابد الوصول الى هذه المرحلة من امتداد الزمن وتعاقب التجارب ومواصلة الكفاح القومي . وقبل ان يبلغ العرب هذه المرحلة في توحيد الجهود وتنسيق الكفاح لتطهير الوطن كله من كل نفوذ أجنبي ، نقول قبل ان يبلغ العرب هذه المرحلة وجد المنتصرون في الحرب العالمية الاولى متسعاً من الوقت لتصريف شؤون الامة العربية وتقسيم اجزاء « الوطن العربي » طبقاً لمصالحهم واغراضهم مستغلين هذه المفاجأة التي جابهوا العرب بها مطمئنين الى ان العرب ما زالوا بعيدين عن ان يجمعوا قوى وطنهم كلها في الكفاح المنظم المنسق الضامن للخلاص من الحكم الاجنبي لجمع اطراف « الوطن العربي » في دولة واحدة تكون قادرة على ضمان كل اعتداء وتعيد للعرب مجدهم وتضمن لهم بناء مدنية جديدة تتفق مع مزاجهم الخاص ، وما ورثوه وما يريدون في مستقبلهم .

على ان هذا الكائن الحي « الوطن العربي » لم يعدم القوة على اظهار ذاتيته واعتزازه بشخصيته وطموحه الى اعادة مجده واخذ نصيبه في بناء المدنية حتى في هذه المرحلة الاولية من مراحل كفاحه القومي ، فقد كافح العرب الطامعين من الاوربيين في شمالي افريقية كفاحاً اختلفت قوته عنفاً وامتداده زمناً تبعاً لاستعداد كل جزء من أجزاء هذا الوطن عند تعرضه للهجوم الاجنبي ، أو لتغلغل نفوذه ، وكافح العرب في الشرق الأدنى الحكم التركي الى جانب الحلفاء ولما تبين لهم ما يراد بهم ، لجأوا الى مقاومة غدر الحلفاء وهكذا حدثت ثوراتهم وتعاقبت متفرقة في كل جزء من أجزاء هذا الوطن لتنبيه الاجزاء الاخرى الى ضرورة التضامن القومي وتحقيق الاهداف القومية .

وقد ظن الحلفاء المنتصرون انهم قادرون على العبث بحقوق العرب الطبيعية في حكم انفسهم بانفسهم وبما قطعوا للعرب من عهود وبما يجب عليهم من وفاء لهم جزاء اشتراكهم بدمائهم وبموارد بلادهم لنصرتهم ، واطمأن هؤلاء المنتصرون الى تحقيق سياسة الغدر والنكول واضاعة الحقوق بفصل تقسيم « الوطن العربي » تقسيما لا يقره شيء لا من تاريخ الأمة العربية القديم ولا من وضع

(الوطن العربي) الجغرافي ، ولا يرتضيه شعور العرب القومي ولا يتفق بشيء مع قاعدة « حق تقرير المصير » التي سلح بها الحلفاء لاثارة أفكار الامم ضد اعدائهم .

ونحن في دراستنا « تأريخ العراق السياسي » لانخرج عن اعطاء صورة حقيقية لهذا الكفاح القومي ويتضح المحقق في تأريخ هذا الكفاح ان يرى ان صفحاته في العراق ليست الا صورة لصفحاته في اجزاء « الوطن العربي » الاخرى وما هو الا مرحلة من مراحل الحركة القومية العربية في سبيل تحرير (الوطن المذكور) واقامة الدولة العربية لتحقيق الاماني الوطنية

« الجهاد طابع العرب القومي »

قلنا ان (الثورة العراقية) ليست الا صورة الكفاح القومي فقد احتفظ العرب (بالجهاد) فيما احتفظوا به من مميزات حياتهم ، وعلينا أن نعالج هذه الناحية بقدر ما يسمح به الوقت .

انتقل الحكم من ايدي العرب الى الاعاجم (عن الفرس والترك) فتقاسوا خلال العهود التي اظلمت منذ خرج الحكم من ايديهم الى ايدي هؤلاء مصائب كانت حرية ان تذهب بأية امة اخرى وان تطمس معالمها وتفقدها ميزاتها ، فقد انتشرت الفوضى في صفوفهم وعم الخراب جل بلادهم وتحكم الجهل بين اكثر طبقاتهم ، وطغى الفقر على حياة الكثيرين من افرادهم ، ومع ذلك كله بقي العرب عربا ، وبقي القرآن الكريم دستورهم الحي : يوجه حياتهم ويحفظ أهم مميزاتهم القومية عقلا ولغة ، ويدفعهم في كل مكان الى الجهاد . واننا لنرى شأن العرب في العراق شأن اخوانهم في اجزاء « الوطن العربي » الاخرى ، جاهدوا مع الترك الحاكمين لدفع الاستعمار الاجنبي حتى اذا تبين لهم إلتواء الترك وعجزهم عن الاستمرار في الكفاح انفردوا (بالجهاد) لتخليص بلادهم من شرور الطامعين ، وما حدث في العراق حدث في غيره مما يثبت ان (الجهاد) طابع عربي ، وان العرب ، حتى في أدوار تأخرهم ، لم يفقدوا

الشعور (بذاتيتهم وشخصيتهم) العربية الخاصة ، وانما تتميز الامم العارفة لشخصيتها ، المعتزة بذاتيتها بـ (الجهاد) لحفظ هذه الشخصية وضمان خلود هذه الذاتية . وفكرة (الجهاد) الأصلية عند العرب قبرهن على ادراكهم لفكرة الاستمرار والخلود في حياة الامم . فالفرد يفنى ، والجيل ينقضي ليحفظ للاجيال المقبلة حريتها اذ لا حياة بغير الحرية والشعب الذي يفقد حريته يعيش (عيشة الميت الحي) الفاقد لذاتيته المسخر لغيره . .

أعلن الترك (الجهاد) ضد اعداء الدين الاسلامي الحنيف فعد عرب العراق اعلانه فريضة تلزمهم بحرب اعداء الدولة العثمانية المسلمة ولاسيما بعد ان ايد هذا الاعلان علماء الدين على اختلاف درجاتهم وتباين نزعاتهم غير ان مساوىء الحكم التركي برزت في محنة الحرب فاذاقت الناس الوانا من العذاب ، وساد الاضطراب التنظيمات العسكرية وغيرها ، فلم يجهز الجنود بما يحتاجون اليه من سلاح وغذاء وكساء ، ولا كان وضع الاهلين أقل سوءاً منهم ، وطغى للغرور العنصري في نفوس الغلاة من الشباب التركي المتحمس للفكرة الطورانية ، فلم تخل علاقة العرب بالحكام المذكورين من توتر أدى الى نتائج مؤلمة جداً . فقد بقي العربي المجاهد في صفوف الدولة العثمانية موصوفا بالخيانة مع انه تبرع بدمه لنصرتها فادى هذا الوصم الى ضعف هذه الرابطة التي استطاع الترك ان يبرروا بها حكم (الوطن العربي) وهي (رابطة الاسلام) وقد زادها ضعفاً سوء الادارتين العسكرية والملكية ولجاجة الترك في القضاء على المميزات العربية ، ولاسيما لغة القرآن وهكذا وجد العرب انفسهم في العراق وفي غير العراق من اجزاء « الوطن العربي » بين نارين متأججتين ، وعدوين متباينين : هما الترك والاوربيين الأمر الذي أدى الى ان يضطرب موقفهم تجاه هاتين القوتين فحالف الحسين (شريف مكة) ومن لحق به من شباب العرب الحلفاء على أمل الظفر باستقلال بلادهم ، ووقف غيرهم موقفاً

آخر ، وبقيت البلدان العربية تشهد الصراع بين الترك وخصومهم زمناً لا يستهان بأجله ، راجية ان تنتهي الحرب باسترداد حكم انفسهم بانفسهم واسترجاع ماضيهم اللامع .

لاينكر ان فكرة الخلاص من الحكم التركي والاستقلال القومي لم تكن واضحة كل الوضوح في أذهان العرب جميعاً . لقد (الصلة) الاسلامية بين العرب والترك ، ولكن مما لاشك فيه ان « الثورة العربية » في الحجاز ظاهرة قوية للوعي العربي القومي ، كما ان منشورات الحلفاء ووعودهم للعرب بتحريرهم من كل نفوذ اجنبي دليل واضح لايقبل الشك على انهم أدركوا حق الادراك ما يختلج في نفوس العرب من طموح الى حكم انفسهم بانفسهم ، واسترداد تالد مجدهم . لهذا كان عزيزاً على العرب ان ينتقلوا من الحكم التركي الى حكم اوربي . واذا كانت هنالك مبررات للحكم التركي فيما مضى فلم يبق أي مسوغ لقبول العرب أي حكم اجنبي . ومادامت نفوسهم الأبية قد ضاقت بالحكم التركي - رغم (الرابطة الاسلامية) والعوامل التاريخية - فمن الاولى ان يستنكروا أي استعمار اجنبي آخر . ولم يمتد الزمن طويلا حتى تتجلى اخطاء السياسة الاستعمارية فيعلم الساسة الاوربيون وغيرهم ان العرب لايفكرون في استبدال سيد بسيد آخر ، وانه اذا كان وجود الدولة العثمانية (المسلمة) قد بقي عاملا مهماً في التغرير بابناء العرب في شمالي افريقية فان زوال الامبراطورية العثمانية بتقاليدها وعنعناتها المعروفة بدد جميع الآمال التي كان يعقدها هؤلاء على وحدة العثمانيين لهم . وهكذا نرى ان انتهاء الحرب العالمية الاولى قد وضع العرب وجه تجاه ما يراد بهم فاصبحوا مضطرين لمواجهة هذه الاحداث والعمل على تخليص انفسهم بانفسهم .

ويقضي هذا الوضع الجديد تنظيم الجهود وتوحيد العمل للخلاص من الحكم الاجنبي غير ان ذلك لايتم الا بعد التنظيم القومي العام وهذا يقضي زمناً قد يطول فيستطيع المستعمرون ان يثبتوا اقدامهم في (الوطن العربي) وانما

الدكتور محمد جميل الهاشمي

الجمعية الأثرية

حطوا بظلامهم جلال الوادي ... وسروا برغمهم بكاء الحادي
شالوا الى الامل البعيد بليلة ... ربداء تاه بها الشعاع الهادي
طافت عليهم خفرة أزلية ... عصرت سلافتها يد الآباد
صرعتهم كأس الحياة فزاحمت ... سنة النيمة يقظة الميلاد
نهلوا وما ابتردوا كأن شرابها ... نار تلهب في فؤاد صاد
هلا سقاة الحفل هل من فضلة ... بالكأس تايب أو تبل فؤادي
منوا علي برشفة فحقيقتي ... ظمأى وهفو يقظتي لرقادي
ان ركب سار وفي الطريق مخاوف ... همست بها الاغوار للانجاد
أين المزام ولا مرام لبيره ... الا مسايرة القضاء العادي
يهني الألى نفضوا التراب وأدركوا ... أن الحقيقة صيحة في وادي
وتجنبوا طرق الحياة وعاندوا ... ان يقعدوا للموت بالمرصاد
فتصاغرت سنن الوجود أمامهم ... وسموا عن الانداد والاضداد
يبكي الانام من الخطوب وعندهم ... تتضاحك الاشواك كالاوراد
ملكوا زمام الدهر فهو بحكمهم ... يجري على الاعدام والايجاد

تظهر حيوية الامة وتبرز ميزاتها اذا ابى كل جزء منها الاستسلام والخضوع ولذلك نرى ان العراق قد بادر من جهته الى مقاومة النفوذ الاجنبي وجاهد في ثورته للتخلص من هذا الحكم .

(يتبع) عبد الرزاق الحسني